الدرس السابع: المنهج البنيوي.

لم ينبثق المنهج البنيوي في الفكر الأدبي والنقدي وفي الدراسات الإنسانية فجأة، وإنما كانت له إرهاصات عديدة تخمرت عبر النصف الأول من القرن العشرين في مجموعة من البيئات والمدارس والاتجاهات المتعددة والمتباينة مكانا وزمانا، وأولها هو ما نشأ منذ مطلع القرن في حقل الدراسات اللغوية على وجه التحديد، لأن هذا الحقل كان يمثل طليعة الفكر البنيوي، وإن لم تستخدم فيه منذ البداية المصطلحات البنيوية.

كانت أفكار (دي سوسير) هي المنطلق لهذه التوجهات لأن مبادئه التي أملاها على تلاميذه كانت تمثل البداية المنهجية للفكر البنيوي في اللغة وذلك عبر مجموعة من الثنائيات المتقابلة التي يمكن عن طريقها وصف الأنظمة اللغوية[1].

ومن الثنائيات التي أبرزها دي سوسير وكان لها أثرها بعد ذلك في الفكر اللغوي والأدبي والإنسانيات بصفة عامة هي التمييز بين علم اللغة الداخلي وعلم اللغة الخارجي.

فعلم اللغة الخارجي مرتبط بالعلاقات والظروف والبيئات والأوضاع الخارجية المتصلة بالحقائق اللغوية، أما علم اللغة الداخلي فمرتبط بالقوانين المنبثقة من اللغة ذاتها بغض النظر عن الإطار الخارجي.

وهناك مدارس أخرى أسهمت إلى درجة كبيرة في تشكيل الفكر البنيوي من أهمها مدرسة الشكليين الروس التي تبلورت في روسيا في العشرينيات من هذ القرن، وقد ركزت هذه المدرسة على دراسة الشكل الأدبي ودلالاته وكانت تحليلاتها لمفهوم الشكل قريبة جدا من مفهوم البنية.[2]

هناك شحصية روسية قامت بدور كبير في التنظيم والربط بين الاتجاهات الغربية المختلفة في النصف الأول من القرن العشرين وهي شخصية (رومان جاكبسون) وكان له أثر كبير في بلورة كثير من الأفكار المرتبطة بالبنيوية اللغوية، وهو الذي يمكن عن طريقه أن تدرس تطور المفاهيم البنيوية منذ مراحلها الأولى إلى أن أصبحت متبلورة في الفكر البنيوي اللغوي والأدبي في الستينات.

---

[1]- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص 85.
[2]- المصدر نفسه، ص 87.

إذا البنيوية في الفكر النقدي ثمرة من ثمرات التفكير الألسني وآثاره في العلوم الإنسانية المختلفة.[3]

أما بالنسبة لاستقبالها في الساحة العربية فجاء في منتصف السبعينيات ، وذلك عبر المثاقفة والترجمة والتبادل الثقافي والتعلم في جامعات أوربا، وكانت بداية ظهوره في عالمنا العربي في شكل كتب مترجمة ومؤلفات تعريفية للبنيوية.[4]

وقد عرف المنهج النقدي في مصر مع الناقد صلاح فضل من خلال كتابه(النظرية البنائية في النقد الأدبي عام 1977) وكتابه(علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته) أما الأردن نجد الناقد كمال أبو ديب من خلال كتابه (البنية الإيقاعية في الشعر المعاصر عام 1974) كما نجد الناقد عبد السلام المسدي وهو من تونس الف كتابا عنوانه(الأسلوب والأسلوبية نحو بديل البنى في نقد الأدب) وكتاب آخر عنوانه(قضية البنيوية دراسة ونماذج).[5]

أهمية المنهج البنيوي:

المنهج البنيوي له إيجابيات كما له سلبيات، فمن إيجابياته مثلاً:

-هو أقرب المناهج إلى النص الأدبي لأن اللغة هي التي تشكل النص وتحدد وجوده وكينونته وبالتالي فاللسانيات هي المنهجية الوحيدة الصالحة لدراسة اللغة في كل تمظهراتها الوصفية، كما أن هذا المنهج أتى كرد فعل على المناهج الخارجية التي تقارب النص الأدبي على ضوء المجتمع، أو على ضوء علم النفس، أو على أساس الذوق والتاريخ...

فالبنيوية تتعامل مع النص على أنه نسق داخلي مغلق وتدرسه من خلال المستويات اللسانية، ويحاول هذا المنهج علمنة النص الأدبي، ومقاربته مقاربة موضوعية اعتمادا على علم اللغة ومفاهيمها الاصطلاحية المجردة من كل ذاتية وذوق انطباعي.

-ومن بعض السلبيات للمنهج البنيوي أنه يقصي التاريخ ويغفل عن ذاتية المبدع، ويتجاهل المرجع الخارجي.

---

[3]- بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 2005، ص134.
[4]- إبراهيم السعافين: إشكالية القارئ في النقد الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصرن ع 60-61 _1889- ص 27-40.
[5]- جودة الركابي: أدبنا والبنيوية، مجلة الموقف الأدبي، ع 220-221، 1989، ص 30.

فالنقد البنيوي يتمركز حول النص، وينظر إليه من داخله، بمعزل عن كل شيء خارجي، من مثل المؤلف والمجتمع والظروف التي نشأ فيها، ويرى أن الواقع الذي يقوم عليه الأدب لا يخرج عن الخطاب أو اللغة، فالعمل الأدبي كله نظام من الدلالات يتم الكشف عنها من خلال التحليل والوصف، والدخول في جزئياته وعلاقاته دون النظر إلى ما حوله.